النبيذ المُرّ

[مقدمة الى ذلك الشيطان الامرد الذي قال: اشرب من نبيذ لندن يا شاعري ! فقلت له : لن أشربهـــا الا من كروم ضيعتي .. بين جناحي (الغور)] .

•

رباه .. ايها الناموس العظيم ...
لم تجرف الموجة الغاضبة .. محارات نفسي إلى قعر المحيط ..
حيث أشلاء الملاحين التعساء .. تخنقها الى الأبد .
فروحي لم تزل .. غيمة رقيقة من سحاب الجنوب ،
دفنتها الأهواء .. في ألف نعش ، ولكن لن تغيب .
فأنا دمعة رشيقة في جفون البرتقال .. نهبتها الريح العاتية من مساكب الغور ..
فتاهت عـــلى ألف خدٍ غريب .. تلسعها الاظافر .. وتميتها لفحات الوجد والجفاف .
ولكن لن تجف . وستبقى دمعتي .. كنجمة من البلور الحار ..
تنزلق في جراحي لأنتقم وأثور .
فنبيذي هائج في عناقيد ضيعتي يشتكي غرب الشفاه ..
شفاه صفراء .. ما تعودناها بلون التراب القاحل .. تسأل من انت من تكون ؟
ايها المتشرد العجوز .. خبزك بين الذئاب .. ونبيذك في الدوالي اليابسة ..
ولكن حسناء بلادي .. وأم بلادي .. ذات الجناح الاشقر ..
والعيون المكحلة بنزيف البلح المشموس .. تعرف من اكون ..
في أي عهد ضاع خبزي وجف نبيذي .. تعرف من انا ..
انا قطرة حمراء .. نزحت عن نهدها المسلوخ .. في فصل عنيف ..
دوّخ الحريات .. ومزق شراع الفضائل والكرامات ..
يوم كان القلب — سلعة بدولار . والحقيقة (بزّاقة) ميتة تضجّ منها القواقع .
يوم كانت حوافر السلام المزيف .. تقحم جبين ولدي الرضيع (عصام) .. ذي العينين الطريتين ..
بينما الرصاصات الجائعة (حروف العدالة المخيفة) تغور في كتفي الدسم .
والليل والضباب الكثيف .. يلوي شبابنـــا في قيود السلاسل .. ومناجم الارهاب .
ولكنني حي لا احترق ..
فجنين الانتقام .. قد وعى في دمي الفوّار .
ومعزوفة الصليل المروعة من ذكريات (العينين الطريتين) تهيم على جبهتي الخضراء .. لتحيي كؤوسي وعناقيدي في بساتين حيفا .. وبيارات الشواطيء ..
حيث اكواخي مصلوبة تحت النجوم .

★

سأشرب نبيذي ايها العـــالم الخسيس .. ايها الشبح الثقيل .. الذي يدب على اجسادنا ..
في امسية قريبة حالمة .. كالذكرى التي نريدها .. بركان يصعد برماح اللهيب
لنرضعها من ثدي الجراح المزهرة ..
في كبدي وأكباد شعبي . من دموع الأطفال ، وجوع العذارى ، وهلاك الشيوخ ..
نبيذك مرٌ كريه أيها (الشيطان الأمرد) كبصاقـــة أشجار الدلف الهرمة ..
أما كرومنا فخضراء منعشة ..
تذكرني بعيني أمي ذات النهد المسلوخ ، والحصر المقيد ..
ولكن سنلصق نهدها الدامي على مجرى العبير .. ونكسر القيد .. ليرقص الحصر اللدن ..
كغرسة من خيزران الهند الرخص .
وقد غام الدخان الفاجر .. يطغي على شذا الآفاق ..
ويروي لهم قصة ..
نعم قصة لاذعة كالسياط .. حفرناها على ألواحهم بالزنود المالحة .

★

بينما القمر العاشق الحبيب .. يفرش لنا قلبه الفضي الرقيق .
على الدروب التي غمرناها بالدماء ..
على الهضاب التي زرعناها بالنواقيس والأجراس ..
وقد أشرقت سواعدنا المحررّة باطفالنا المشردين ..
كومضات خنجر أبدي .. يفتح جرحاً عريضاً ..
لنبني مجداً ونقبر ذكرى

سلميه (سوريا)

محمد الماغوط